التنقيب في تل قوينجق: انجازات الماضي وآمال المستقبل

أ. د. جابر خليل إبراهيم
كلية الآثار/ جامعة الموصل

مستخلص البحث

في مدينة نينوى العاصمة الأشورية تلين أثريين كبيرين، الأول يعرف بأسم (تل قوينجق) والثاني يعرف باسم (تل النبي يونس) وأستقطب التل الأول المنقبين الأوائل،في حين ان للثاني مكانة مقدسة عند المسلمين نسبة إلى النبي يونس عليه السلام صاحب الحوت الذي ورد ذكره في القرآن الكريم، إذ يقوم فوقه مسجد هذا النبي .

ولتل قوينجق أهمية حضارية إذ يضم قصور الملوك الأشوريين ومعابدهم. لذلك أستقطب المنقبون الأوائل، بدءاً من القنصل البريطاني كلوديوس جيمس ريج، الذي رسم خارطة دقيقة لمدينة نينوى، وأجرى حفائر متناثرة في تل قوينجق عام ١٨٢٠. وحفزت مؤلفاته عن آثار العراق وبخاصة تل قوينجق الحكومات الأوربية، فأرسلت فرنسا أميل بوتا للتنقيب في نينوى عام ١٨٤٢، وأعقبه لايارد المنقب البريطاني ومساعده هرمزد الرسام في عام ١٨٤٥ الذي استمرت حفرياته إلى عام ١٨٥١. ولأهمية مكتشفاته التي تزيّن المتحف البريطاني، توالى المنقبون الإنكليز في حفرياتهم في هذا التل. إلا أنها كانت غير علمية وفي بدايات القرن الماضي صحح المنقبون مسار تنقيباتهم عندما تولاها ليونارد كينك ومن بعده كامبل طومسن و ماكس ملوان.

المقدمة

ارتبط التنقيب عن الآثار في العراق منذ بدايته بدوافع أوربية، وتأتي السياسية في مقدمتها، وبخاصة في الحقبة التي أعقبت عصر النهضة الأوربية في القرن السادس عشر. إلا إن الانطلاقة الحقيقية في التنفيذ كانت خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر. وفي المدة التي سبقت التنفيذ حققت أوربا فهماً واسعاً عن مخلفات الحضارتين الإغريقية والرومانية، واتجاهاتها الفلسفية وكذلك في اتجاهاتها في تفسير التاريخ الإنساني، ومثلها في المذاهب الاجتماعية وفي دراسة الأديان المقارنة[١].

كان فهم أوربا عن الشرق قد اعتمد في بادئ الأمر على مرويات العهد القديم وعلى ما جاءت به الكتب الإغريقية والرومانية في حقل التاريخ والجغرافية والفلك وغيرها من العلوم. وقد ساهمت هذه المعلومات في بناء تلك الاتجاهات، وساهمت معها أيضاً الأحداث التاريخية التي وقعت يومها في كل من الشرق والغرب على المسيرة التاريخية. إذ شكلَّ سقوط القسطنطينية عاصمة الإمبراطورية البيزنطية عام ١٤٥٣م، وانحسار المد الصليبي في الشرق، قابلها في الغرب تجمع أوربا تحت راية الفاتيكان الذي انتهى بسقوط غرناطة ١٤٩٢م، حيث بدأت بعدها صفحة جديدة في التاريخ، تميزت فيها أوربا بتفوق عسكري على الشرق، أعقبها صفحة جديدة في دراسة وفهم التاريخ والآثار وقراءة الأحداث، وفي دراسة مواطن الحضارات القديمة في الشرق. باعتبار إن الآثار وجه من أوجه الثقافة، وان الثقافة في المفهوم الغربي تراث أنساني لا وطن له ولا جنس ولا دين. وضمن هذا المفهوم تسللت أوربا إلى الشرق، وساهمت شعاراتها هذه في تمييع الحواجز كلها، ونفذت إلى جسم عالم ارض الحضارات القديمة. في زمن كان ذلك الجسم مسترخ مخدر[٢].

كانت الانطلاقة لتنفيذ ذلك المنهج، هي الرحلات التي نظمتها حكومات أوربا للوصول إلى بلدان نشوء الحضارات، حيث اختارت لها أشخاصاً تضافرت على تأهيلهم جهود جمعيات، لها عناوين مختلفة في اللغة والتاريخ والثقافة والدين، واختارت لها أشخاصاً يمتلكون مواصفات المغامرة(٣).

والمنهج الذي أعدته حكومات أوربا كان علمياً في ظاهره وتبشيرياً وسياسياً في باطنه، حتى إن أحد الباحثين العرب، وصف ذلك القرن بأن "شره على المشرق العربي كان لا يقل عن خيره"، لأنه قرن تنافس أوربي. وكانت بلاد الرافدين من أبرز عوامل ذلك الصراع، كونها في الجانب الجغرافي أقصر حلقة بين الشرق والغرب، وإن في أرضها الكنوز والثروات الأخرى(٤).

كان الصراع بين فرنسا وبريطانية على العراق وغيره من البلدان العربية الأخرى على أشده، فقد أسست فرنسا معهداً في مصر لدراسة الآثار أثر حملتها عام ١٧٩٨م، وهو أول معهد للآثار يقام في بلد عربي، قابلتها بريطانية بانتهاج سياسة الشركات والمقيميات الدبلوماسية الأكثر فاعلية(٥).

كان حقل الآثار في العراق مؤثراً، كونه حقل التماس بين المتنافسين ومظهراً من مظاهر نفوذ هاتين القوتين. وأصبحت الموصل هدفاً مركزياً في نظر هذين الفريقين، ومنطقتها الغنية بالثروات، ومنها الكنوز الأثرية في المدن التاريخية وبخاصة العواصم الآشورية.

وفي بداية القرن التاسع عشر شهدت مدينة نينوى عمليات التحري عن آثارها، وكان تل قوينجق الأكبر مساحة والأكثر ارتفاعاً، ومن بعده تل النبي يونس (تل التوبة) قد جذبا الرحالة العرب والأجانب، حيث سجل كل واحد منهم، ملاحظاته عن تلك المدينة وعن هذين التلين. إذ تبلغ مساحة التل الأول (قوينجق) ١٠٠ فدان انكليزي، وارتفاعه ٩٦قدم، ويجري نهر الخوصر في جهتيه الشرقية والجنوبية، ويصب في نهر دجلة في الجهة الغربية منه. ولضخامة مساحته وعلوه، سمي بقلعة نينوى.

وأوسع دراسة أنجزت عن هذين التلين، وضعت من قبل كلوديوس ريج في السنوات ١٨٠٨ و ١٨٢٠، يوم كان قنصلاً لبريطانية في بغداد. والذي اعدَّ في زيارته الرابعة لنينوى خارطة أثرية تفصيلية للمدينة وأطرافها. وهي أول خارطة دقيقة، حيث أظهر ريج مقدرته في المسح الهندسي، وسبق له وان رسم قبلها خارطة لأطلال مدينة بابل في عام ١٨٠١(٦).

لم يكتف ريج برسم خارطة نينوى، وتدوين استطلاعاته عليها، بل حفر مجسات في تل قوينجق واستظهر كميات من اللقى الأثرية، أضافها إلى مجموعته التي جمعها من حفرياته السرية في التلول الأثرية الواقعة بين بغداد وديالى والسليمانية وغيرها، وبنى ريج ملاحظاته عن نينوى بشكل عام وتل قوينجق وتل النبي يونس من خلال الحفريات الفردية،غير العلمية، ومن خلال اللقى الحجرية التي استخرجها الاهلين. وبنى عليها آراؤه، وقد تبين عندئذ إنها كانت دقيقة، وقد مهدت لاستطلاعات ومسوحات لاحقة، وقادت بالتالي إلى أعمال منتظمة وواسعة(٧).

ومن المعروف أن ريج كان قارئ جيداً للمصادر العربية وقبلها الفارسية والتركية، فضلاً عن إتقانه اللغات الأوربية واللاتينية. وكانت مهماته في الموصل وقبلها في بابل وبغداد بالإضافة إلى السياسية، هي جمع المخطوطات والمسكوكات القديمة والقطع الأثرية(٨).

كانت كتابات ريج المنشورة بالانكليزية عام ١٨٣٦ في لندن، قد نبهت حكومات الأوربيين وبخاصة المستشرقين في إن نينوى وغيرها من المدن الأشورية والبابلية تضم مخلفاتها القصور والمعابد والزقورات. وكان موهل المستشرق الألماني الأصل، قد نبهَّ الحكومة الفرنسية، إلى ضرورة الحفر والتنقيب على نطاق واسع في أطلال نينوى(٩).

والملاحظ إن السنوات التي أعقبت ١٨٢٠، لم تسجل تقدماً ملحوظاً في نشاط الرحالة الأوربيين في الموصل ولا في محيطها الجغرافي، حتى قدوم الميجر فلكس جونز المساح البريطاني عام ١٨٤٢م. وربما كان ذلك بسبب الأحوال البيئية القاسية التي شهدتها المنطقة، من انحباس الأمطار وشدة القحط، وانتشار الأوبئة والأمراض الفتاكة، استناداً لما نقله أحد الرحالة الذين وصلوا مدينة الموصل[١٠].

بعد إن انتعشت تلك الأحوال، قدم إلى الموصل عدد من الأوربيين وفي مقدمتهم فلكس جونز البريطاني المشار إليه[١١] وأميل بوتا الفرنسي عام ١٨٤٢ وروولنصون، الذي كان يحمل لقب قنصل عام بريطانية في بغداد وتركيا العربية، وكان نشاط القنصليات في الموصل (مابين وكيل سياسي وقنصل عام)، قد تولوا مصالح دولهم، إلا إن النشاط البريطاني كان هو الأقوى في الجوانب السياسية والاقتصادية.

فتحت بريطانية قنصلية لها في الموصل عام ١٨٣٩، تلتها فرنسا في عام ١٨٤٢م، في وقت لم تكن للدولة العثمانية حضوراً في مجال الآثار في هذه المنطقة[١٢].

باشر بوتا التنقيب في تل قوينجق، وكان المستشرق موهل سكرتير الجمعية الأسيوية الفرنسية مرشده في معظم أعماله، كما يستنتج ذلك من الرسائل التي تلقاها من المنقب[١٣]. وما أن وصل بوتا الموصل في أوائل عام ١٨٤٢، سعى إلى جمع العاديات، إلا إن ما كان موجوداً منها قليلاً، حيث إن ريج لم يبق منها شيئاً. واتجه بوتا بعدها إلى التنقيب. إذ كان تل النبي يونس يشكل عنده الأولوية حيث المعلومات التي ضمنها ريج في كتابه المطبوع عام ١٨٣٦م، كانت مشجعة لمن يريد الحصول على اللقى الأثرية[١٤].

وحينما شعر بوتا ان السلطات العثمانية في الموصل، لا توافق على ذلك اتجه نحو تل قوينجق، وباشر التنقيب فيه في كانون الأول عام ١٨٤٢ واستمر في عمله لمدة ستة أسابيع، ولم يحصل إلا على عدد قليل من اللقى الأثرية، بسبب سمك طبقة الأنقاض والأتربة المتراكمة فوق الطبقة الآشورية. وعلى الرغم من قلة اللقى التي اكتشفها بوتا، إلا إن ذلك لم يوقف طموحه للوصول إلى أبنية تلك الطبقة. إلا إن طموحه أيضاً دفعه للانصراف عن قوينجق في العشرين من آذار ١٨٤٣، والتوجه إلى خورسباد[١٥]. وبسبب النتائج المهمة التي حققها في تلك المدينة أرسلت أكاديمية الرقم والأدبيات الفرنسية أوجيني فلاندان للالتحاق بالقنصل بوتا في الموصل، حيث عمل الاثنان في نينوى وخرسباد، من اجل أن يرسم المشاهد الأثرية، بعد أن ذاع في المجتمع الفرنسي خبر اكتشاف نينوى على يد بوتا، مكتشف حضارة الآشوريين[١٦]. إلا انه نفض يديه قبل نهاية شهر أيار ١٨٤٥ من التنقيب وعاد إلى فرنسا، ومعه مجموعة كبيرة من الألواح الحجرية التي تحمل كتابات مسمارية أشورية وألواح طينية، وتماثيل آشورية.

وبغياب فرنسا عن عمليات التنقيب، في نينوى وخورسباد، اغتنمت بريطانية هذه الفرصة حيث كان لايارد الذي أصبح قنصلها في الموصل، والذي كانت تربطه علاقات ودية مع بوتا، يتجول بين أطلال العواصم الآشورية مثل نينوى ونمرود وآشور[١٧].

تمكن لايارد عام ١٨٤٥ وبمساعدة سترانفورد كاننغ، سفير بريطانية في اسطنبول من الحصول على (فرمان) من حكومة الباب العالي للتنقيب عن الآثار في المدن الآشورية، وخصص له كاننغ مبلغاً من المال لتغطية ذلك العمل.

وصل لايارد الموصل، وقابل الوالي وسلمه (الفرمان) الذي يجيزه التنقيب، وهيئ مستلزمات التنقيب في أطلال النمرود.

نجح لايارد في السنوات ١٨٤٥-١٨٤٧م في تنقيب أقسام في تل قوينجق والتي أسفرت عن اكتشاف عدد من المنحوتات الحجرية، وكان مساعده روس Ross وهو بريطاني كان قاطناً في الموصل. وحينما رجع لايارد إلى لندن عام ١٨٤٧ طلب أمناء المتحف البريطاني من روس استمرار التنقيب في قوينجق ولكن على مقياس محدود. وقد أصاب روس النجاح خلال المدة التي غاب فيها لايارد عن الموصل[١٨].

وحينما عاودت فرنسا التنقيب في نينوى على يد قنصلها الجديد فكتور بلاس كانت حفريات البريطانيين في تل قوينجق قد قطعت شوطاً، مما دفع بالقنصل الفرنسي للاحتجاج على هذا الأمر، وان يجري حفريات بالقرب من حفريات البريطانيين ومضى الطرفان بالتنقيب، الأمر الذي دفع برولنصون إلى تقسيم تل قوينجق بين الانكليز والفرنسيين[١٩].

تولى هرمزد رسام التنقيب بدلاً من لايارد، في المساحة الواقعة شمال شرق قصر سنحاريب، وبدأ يستكشف قطع من المنحوتات الحجرية والطابوق. وحينما أصبح الحفر عميقاً، بدأت تظهر قطع وألواح حجرية شبيهة بتلك التي استظهرت في نمرود.

توالت اكتشافات رسام في تل قوينجق، وكشف عن قصر، كانت جدرانه مكسوة بالحجر والرخام ذات المشاهد المنحوتة؛ كما استظهرت التنقيبات معابد، وكثُرَ حفر الخنادق والمجسات لفحص ارض ذلك التل، واستمر التنقيب حتى في الليل بحثاً عن مزيد من الاكتشافات[٢٠].

أستمر هرمزد رسام في التنقيب ومن بعده لوفتس في السنوات ١٨٥٢-١٨٥٤م تحت إشراف رولنصون رغم إنه كان يعمل يومها في الحقل الدبلوماسي. والملاحظ إن لوفتس قد عمل بنشاط كبير، كاشفاً عن أقسام أخرى من قوينجق واستظهر كميات من الألواح المسمارية الطينية وقليل من الألواح ذات المشاهد.

توقفت أعمال التنقيب في قوينجق في السنوات (١٨٥٦-١٨٧٣م) وكان الهدف الظاهري، هو دراسة النتائج المكتشفة في تل قوينجق، والمحفوظة في المتحف البريطاني.

رشح المتحف البريطاني جورج سمث لإجراء حفريات في قوينجق تهدف إلى كشف المزيد من الألواح المسمارية، بعد أن زاد الاهتمام بها خلال مدة توقف التنقيبات المشار إليها قبل قليل. فغادر سمث لندن في ٢٠ كانون الثاني عام ١٨٧٣، ووصل الموصل في اليوم الثاني من آذار من نفس العام. إلا إن والي الموصل العثماني لم يسمح لسمث العمل في قوينجق، الأمر الذي دفع به إلى السفر إلى بغداد على ظهر كلك، فزار بعدها بابل والمواقع الأثرية الأخرى القريبة منها، وابتاع كمية من الرقم المسمارية[٢١].

عاد سمث إلى الموصل في الثاني من نيسان وزار نمرود وأجرى فيها حفريات كانت على نطاق محدود، ومهدت هذه الأعمال للمباشرة بالمهمة الرئيسية له وهي إجراء حفريات في قوينجق لها علاقة بالحفريات السابقة، والتي أنجزها خلال أكثر من شهرين، عاد بعدها إلى انكلترا فوصلها في أواخر تموز من عام ١٨٧٣م[٢٢].

اطلع أمناء المتحف البريطاني على النتائج التي حصل عليها سمث في قوينجق وكانت كما يبدو على قدر من الأهمية، لذلك قرر المتحف المذكور عودة سمث إلى قوينجق مرة أخرى، فوصل إلى الموصل في اليوم الأول من كانون الثاني ١٨٧٤م.

حقق سمث نتائج طيبة في قوينجق، وابتاع أيضاً مجموعات من القطع الأثرية والمخطوطات من الموصل ومن بغداد علاوة على القطع التي حصل عليها من قوينجق . ويبدو إن المهمة الثانية لسمث قد حققت نتائج في غاية الأهمية.

عاد المتحف البريطاني فأرسل سمث مرة ثالثة إلى الموصل للعمل في قوينجق تتعلق بأمور تحقيقية، وأخرى تتعلق باكتشافاته الأثرية، وفي عودته إلى انكلترا مات بالقرب من حلب عام ١٨٧٦.[٢٣]

وبموت جورج سمث عاد هرمزد رسام إلى الموصل عام ١٨٧٧، ليستأنف التنقيب في تل قوينجق والنمرود، واستمرت تنقيباته من ١٨٧٨ لغاية ١٨٧٩. واتجه رسام بعدها صوب بلاد بابل، حيث المدن التاريخية المشهورة في منطقتها، مثل برس نمرود (بورسبا) وأبو حبة (سبار).[٢٤]

كان نشاط هرمزد رسام في هذا الباب واسعاً، ودخلت المتحف البريطاني بنتيجة ذلك كميات كبيرة من الألواح الطينية المسمارية، أدت لان يكون ذلك المتحف، من أكبر المتاحف من حيث الكنوز المسمارية.

واشتد حماس علماء الآشوريات في السنوات ١٨٧٢–١٨٧٨م لدراسة تلك المجاميع، وكان رأي أمناء المتحف البريطاني هو العودة إلى قوينجق لإجراء فحص عام ووضع خطة جديدة للتنقيب فيه.

رشح المتحف البريطاني بدج ليقود عمليات التنقيب في قوينجق، لكونه من المختصين بالآشوريات وبذلك انتقل التنقيب عن الآثار من النبش والحفر غير العلمي إلى طور جديد تسند فيه عمليات التنقيب لمختصين في علم الآثار. وبعد أن حصل المتحف المذكور موافقة الباب العالي على التنقيب، شدَّ بدج رحاله، فوصل الموصل في كانون الثاني ١٨٨٩، وباشر العمل في أواخر كانون الثاني، واستخدم عدد قليل من العمال في بادئ الأمر ، لكنه زاد عددهم بعدئذ، متحرياً في الحفريات التي سبق لسلفه من الحفارين اجراءها في قصري آشور بانيبال وسنحاريب مثل بوتا وروس ولايارد ورسام ولوفتس.[٢٥]

استغرقت تحريات بدج في قوينجق شهراً، وانتهت في كانون الثاني لعام ١٨٩١، وتمكن من استظهار ما يقرب من ٦٠٠ رقيم ومجموعة من الكسرات.

وكانت خطته في ذلك هي انتخال متارب التنقيبات السابقة بدلاً من إجراء حفريات جديدة في هذا التل، بعد أن لاحظ وجود بعض كسرات الرقم الطينية مع الأنقاض في تلك المتارب وتمكن بهذه الطريقة الحصول على هذه الكمية من الرقم[٢٦].

توقفت أعمال التحري والتنقيب في قوينجق لعقد من السنين، وقررَّ أمناء المتحف البريطاني إيفاد كنك أحد المختصين بالآثار، الذي وصل الموصل في ٢٦ كانون الثاني ١٩٠٣، وباشر التنقيب في هذا التل واستغرقت أعماله لما يقرب سنة. وكان حلم كنك هو التنقيب في أماكن معينة من قوينجق، وإعادة التنقيب في أماكن سبق حفرها. حيث إن مساحات من القصور الملكية المشهورة المكتشفة بقيت بحاجة إلى التنقيب. وان كنك جاء ليعالج بعض المشاكل العالقة في قوينجق.[٢٧]

بدأ كنك باستخدام ١٢٠ عاملاً ثم زاد عددهم إلى ٣٠٠ عامل في تنقيبات القصر الجنوبي الغربي في ٣ آذار ١٩٠٣م. وكان سمك الأنقاض في هذا الموضع قد بلغ عدة أمتار، وجد فيها طابوق منقوش باسم الملك سنحاريب، ووجد ألواحاً عليها مشاهد منحوتة.[٢٨]

كان كنك أول من حاول البحث في الطبقات التي يضمها هذا التل وقد كشف في الطبقات السفلى قطعاً من الحجر المعروف بالاوبسيدي. وتمكن من أن يؤشر الطبقات الآشورية.

في عام ١٩٠٤م ساهم كامبل طومسون بتنقيبات قوينجق مع كنك وعمل الاثنان في حفريات منتظمة، وتوصلا إلى نتائج علمية مهمة[٢٩].

توقف المنقبون البريطانيون عن التنقيب في قوينجق في السنوات القليلة التي سبقت نشوب الحرب العالمية الأولى، واتجه بعض المنقبين مثل طومسون للمشاركة في تنقيبات موقع مدينة كركميش الواقعة ضمن مقتربات سكة الحديد التي عملت عليها الدولة العثمانية والألمان. وكان رئيس بعثة التنقيب هوجارث، ومعه وولي وطومسون ولورانس. وكان للبعثة هدفين، التنقيب عن الآثار وهو الظاهري والاستخباري وهو غير المعلن. وبعد ان توقف العمل الاثاري في كركميش إلا إن العمل الاستخباري لأعضاء بعثة التنقيب قد أستمر حتى أصبح المنقبون مسئولين في وحدات الجيش البريطاني[٣٠].

وما إن وضعت الحرب أوزارها، أوكل المتحف البريطاني مهمة التنقيب إلى طومسون للحفر في تل اللحم واريدو وأور وغيرها من المواقع الأثرية في جنوب العراق، مستغلين فرصة احتلال بريطانية للعراق. وقد أعطت بريطانية الحق لنفسها لتملك الآثار المكتشفة. وقد حصل طومسون على نتائج مهمة، إذ آلت جميع اللقى في هذه التنقيبات إلى المتحف البريطاني، وحصل بنتيجة ذلك اختبار واسع أضيفت إلى خبراته في التنقيب في كركميش (جرابلس)[٣١].

كانت الموصل بعد أن وضعت تلك الحرب أوزارها، في أوضاع لم تسمح للبريطانيين للعمل الآثاري في مدينة نينوى بحرية. وكان طومسون الأكثر الماماً بتل قوينجق وما كشفت عنه تنقيباته مع كنك عام ١٩٠٥، حتى انه كان يتكلم العربية وباللهجة الموصلية بطلاقة وهو المختص بالكتابات المسمارية والأستاذ بكلية مرتن بجامعة اوكسفورد، وكان أيضاً معاوناً في الدائرة المصرية والآشورية في المتحف البريطاني. وله خبرات واسعة في المساحة والرسم الهندسي[٣٢].

بعد تشكيل الحكومة العراقية عام ١٩٢١، وبعد صدور أول قانون للآثار في العراق عام ١٩٢٤، قدمَّ المتحف البريطاني طلباً بتاريخ ١٦ آذار ١٩٢٧ يرغب فيه معاودة التنقيب في قوينجق تحت قيادة كامبل طومسون، ويطلب موافقة الحكومة العراقية لإصدار إجازة التنقيب، وأشار الطلب إلى إن المتحف البريطاني ومنذ أيام لايارد كان مشتركاً اشتراكاً فعلياً بحفريات قوينجق، وان آخر عمل له فيه كان في عام ١٩٠٥ يوم قام كل من كنك وطومسون بالحفريات على نفقته. وبينَّ الطلب ان طومسون ينوي أن يتحرى القسم الملاصق للمكان الذي عمل فيه في عام ١٩٠٥، وطلب المتحف أن تكون رخصة التنقيب لكامل قوينجق، أو ان يؤجل تعيين أماكن التنقيب بصورة نهائية لحين وصوله العراق[٣٣].

في ١٦ تشرين أول ١٩٢٧ وصل كل من كامبل طومسون وهجنسن من المتحف البريطاني الموصل، وبدأت خطواتهم للتنقيب في الحال بقوينجق، بعد صدور إجازة التنقيب وفقاً لقانون ١٩٢٤.

واستمرت البعثة بأعمالها حتى عام ١٩٣١، وكان الميجر ولسن المفتش الإداري في الموصل يومها، يساعد البعثات الأجنبية في الأعمال الإدارية.(٣٤)

قام طومسون ومساعده ملوان بحفر خندق عميق في قوينجق من أجل تعيين الطبقات الاستيطانية وتحديد أزمنتها، وكان ذلك أول عمل علمي في هذا التل، وكان هذا الخندق في تقدير ملوان، أعمق خندق اختباري حفر في بلاد أشور قاطبة أو في منطقة غرب أسيا. وقد أعطى المنقبون لكل طبقة من الطبقات المكتشفة، مصطلحاً خاصاً بها، فكانت الطبقة الأعمق قد أُصطلح عليها بنينوى I (العصر الحجري الحديث ٦٠٠٠-٤٨٠٠ ق.م) والطبقة التي فوقها نينوى II، وحاول ملوان تفسير الطبقة نينوى III، المتكونة من رواسب نهرية نتيجة الفيضانات التي غمرت المنطقة متأثراً بالاكتشاف الذي فسره وولي في حفرته بمدينة أور عام ١٩٢٦، حين كان يعمل معه هناك. ونسب ملوان الطبقة هذه إلى عصر العبيد (٤٠٠٠-٣٥٠٠ق.م) والطبقة الرابعة من نينوى إلى عصر الوركاء في حدود الألف الرابعة قبل الميلاد.

أما الطبقة الموسومة بنينوى V، فإن فيها بقايا بيوت مشيدة باللبن وفيها أيضاً كسرات فخارية مصبوغة ومحززة تعود إلى (٣٠٠٠-٢٥٠٠ق.م) والطبقات التي فوقها هي للعصور الآشورية، ومن ثم عصور الاحتلال الأجنبي، التي تفصل بينها وبين الطبقة الآشورية طبقة سميكة من الأنقاض.(٣٥)

هددَّ الزحف العمراني مدينة نينوى الأثرية، إثر التوسع الذي شهدته مدينة الموصل منذ خمسينات القرن الماضي، وكانت السلطات الإدارية في الموصل وهيئة الآثار والتراث قد وضعتا خططاً للمحافظة على المدينة الأثرية. وقد آزرت جامعة الموصل في أعمالها في حقلي التنقيب والصيانة.(٣٦)

وفي العقد الثامن من القرن الماضي دخلت بعثة جامعة كاليفورنيا الأمريكية للعمل في قوينجق والأماكن الأخرى من نينوى؛ برئاسة ديفيد سترونـاك وركزت في أعمالها على القسم الشرقي من تل قوينجق.(٣٧)

وفي بداية القرن الحادي والعشرون، باشرت بعثة عراقية ايطالية أعمالها في دراسة المنحوتات الحجرية في قاعة عرش الملك سنحاريب بقوينجق وتوصلت في عام ٢٠٠٢ إلى نتائج طيبة من دراسة وتصوير، وتقدير الأضرار الحاصلة عليها. وقبل البدء بأعمال الصيانة الفعلية، اندلعت الحرب عام ٢٠٠٣ وتوقفت تلك الأعمال.

بعد هذا الاستعراض التاريخي للتحري والتنقيب في تل قوينجق، الذي بدأ في مطلع القرن التاسع عشر، وتوقفه منذ العقد التاسع من القرن الماضي وحتى وقتنا الحاضر، وكشفت تلك التنقيبات كنوزاً أثرية تتناوب بين الألواح والتماثيل الحجرية، والكتابات المسمارية، وان القسم الأعظم من هذه المجاميع هي محفوظة في المتحف البريطاني.

ومازال هذا التل الذي أعطى فلكس جونز تقديراً أولياً للأتربة والأنقاض وهي ١٤.٥٠٠.٠٠٠طناً، وقدر المدة اللازمة لتنقيبه بـ ١٢٠سنة، إذا ما اشتغل فيه ١٠٠٠ عامل يومياً. يحتفظ بمباني القصور والمعابد والأبواب والتحصينات بالإضافة إلى زقورته، وان أجيال العراق من الآثاريين هي الأولى في تنقيبها، ودراستها.

وكانت جامعة الموصل التي شاركت الجهات الوطنية في حقل الآثار تنقيباً وصيانة فيما مضى، هي اليوم قد أكملت تدابيرها للمباشرة بالتنقيب في هذا التل. والأمل أن يُكرس البحث العلمي لدراسة:

١- عصور ما قبل التاريخ في نينوى، ومراحل تطور قوينجق من مستوطنة صغيرة إلى مدينة عامرة.
٢- البحث في الإشكاليات العلمية، وانجاز الأساليب المتبعة لحلها ومنها علاقة نينوى بمحيطها الجغرافي.
٣- إعادة دراسة الجوانب الطبوغرافية من نينوى وبخاصة الدراسات المتعلقة بتوصيل المياه إلى المدينة.
٤- دراسة خصائص المدينة من تحصينات، ومعابد وقصور والتركيز على مراحل بناءها.
٥- دراسة ما حصل على المدينة بعد سقوطها عام ٦١٢ق.م، واستمرارية نومها، حتى أيقضها التنقيب.

Excavation at Tell kuynjik : Achievement of the past and hopeful for future

Abstract

with Nineveh, the capital of the Assiryian empire there are two Tells, Kuynjik and Nabi Yunis. Of these only Kuynjik has been explored, because there is a Muslm shrine detected to profet Nabi Yunis on the top of the site. A majer site of particular importans to those interest in archaeolojg of northern Iraq.١٨٢٠, Nineveh is mapped by British archaeolojgiest Rich ,and started excavation in a small scale at kuynjik.١٨٤٣ E. Botta Frinich, started his investigation at the upper level of Kuynjik. ١٨٤٥-٥١, the palace of Sennachreeb is discovered by A. layared and H Rassam, which comprised at least ٨٠ rooms. Archives of cuneforms tablets were found in both palaces, but library of Ashurbanipal forms an universal epigraphic sources for current

knolleged Mesopotamian history. The excavation taken place in the beginning of the last century by L. King , C. thompson and M. Mallowan explored the chronology of Kuyngik:

١. ٦٠٠٠ B.C first settlement of Nineveh (NI).
٢. ٣ rd. and ٢nd. millinya B.C ,Nineveh is a religious center.
٣. ٩th century B.C ,large architectural projects starte in Nineveh with the rise of Assyrian power.
٤. the last settlement at Nineveh are abouned ٦١٢ B.C.
٥. Nineveh decline although occupation of the site continued throught the Selucid and Parthian period.

University of Mosul colledge of Archacology started excavation at Kuynjik October ٢٠١١.

الهوامـــش

(١) من مقدمة بحث للكاتب، عنوانه "التنقيبات الأثرية في العراق واتجاهاتها"، مجلة كليـــة الآداب، جامعـــة بغـــداد، العدد٥٣، لسنة ٢٠٠١، ص١٤٩.

(٢) بعد أن نشبت حرب القرم عام ١٨٥٣ والتي استمرت ثلاث سنوات بين الدولة العثمانية وروسيا، دخلت كـــل مـــن بريطانية وفرنسا إلى جانب العثمانيين، وحينما انتهت الحرب بانتصار المتحالفين، بدأت بريطانية وفرنسا التغلغـــل في الدولة العثمانية، ينظر: علي الوردي، لمحات من تاريخ العراق الحديث، ج٢، بغداد، ١٩٧١، ص٧٠.

(٣) سعد الاعظمي، من أساليب التغلغل الأجنبي، بغداد، ١٩٨٥.

(٤) عبدالعزيز سليمان نوار، آثار العراق والصراع الاستعماري في القرن التاسع عشر، مجلـــة الهـــلال، القـــاهرة ، شباط ١٩٦٥، ص١٣٥.

(٥) Oates, D., and J., The Rise of Civilization, Oxford, ١٩٧٦, P. ٢٥-٢٦.

وينظر أيضاً: عبد العزيز سليمان نوار، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا إلى نهايـــة حكـــم مـــدحت باشا، القاهرة، ١٩٦٨، ص٢٨٩ وما بعدها.

(٦) Rich, C. J., narrative of A Residence in Koordistan and On The Site Of Ancient Nineveh, Vol.٢, London, ١٨٣٦, PP.٢٩-٦٥.

(٧) المصدر نفسه.

(٨) Rich, C. J., Memoir On The Ruins Of Babylon, ٣rd . Ed., London, ١٨١٨.

وفي هذا المؤَلف معلومات قيمة عن مدينة بابل كتبها في زيارتين له، ونشر ريج التقريرين الواسعين في كتـــاب واحد.

(٩) أي. رويستن پـــايك، قصة الآثار الآشورية، ترجمة: يوسف داود عبدالقادر، بغداد، ١٩٧٢، ص٤٣ وما بعدها.

(١٠) ينظر في ذلك: واليس بج، رحلات إلى العراق، الجزء ١، ترجمة: فـــؤاد جميـــل، بغـــداد، ١٩٦٦، ص٢٨٣-٢٨٦، وكذلك لويس ساكو، الموصل حسب رحلة بادجر، مجلة بين النهرين، ٩-١٠(١٩٧٥)، ص٦٥.

(١١) أجرى جونز مسوحات واسعة في بلاد آشور، وفي أقسام أخرى من العراق، بدعم من شركة الهند الشـــرقية، ووزعت منجزاته على أعضاء الجمعية الأسيوية البريطانية عام ١٨٥٣، ونشرت بحثه حكومة بومبـــاي عـــام ١٨٥٧. والخرائط التي أنجزها، كانت أمثلة رائعة لعلم الخرائط الاثارية، وكانت الخارطة التي وضـــعها عـــن مدينة نينوى تفوق الخريطة التي وضعها بلاس المنقب الفرنسي كونه أكثر حرفية منه. ينظر:

Filex Jones, Topography of Nineveh, Bombay, ١٨٥٧.

(١٢) لم يكن للدولة العثمانية يومها قانون للآثار، وأول قانون صدر كان في عام ١٨٦٨.

(١٣) Botta's M., Letters On The Discoveries at Nineveh, London, ١٨٥٠.

(١٤) Rich, C. J., narrative of A Residence in Koordistan and On The Site Of Ancient Nineveh, Vol.٢, London, ١٨٣٦, PP. ٢٩-٣٥.

(١٥) واليس بج، رحلات إلى العراق، ترجمة: فؤاد جميل، الجزء ١، بغداد، ١٩٦٦، ص٢٥٦-٢٥٩.

(١٦) أوجين فلاندان، رحلة في ما بين النهرين، ترجمة: بطرس حداد، بغداد، ٢٠٠٥.

(١٧) نورا كوبي، الطريق إلى نينوى، ترجمة: سلسل محمد العاني، بغداد، ١٩٩٨، ص٣١٤-٣١٨.

(١٨) Layard, A. H., Nineveh and Its Remains, Vol.١, London, ١٨٤٩, PP.٩-١٦.

(١٩) واليس بج، رحلات إلى العراق، الجزء ١، ص٢٦٢

(٢٠) المصدر نفسه، ص٢٦٢.

(٢١) المصدر نفسه، ص٢٦٢.

(٢٢) المصدر نفسه، ص٢٦٥.

(٢٣) المصدر نفسه، ص٢٦٥ ؛ مذكرات ملوان، ترجمة: سمير عبدالرحيم الجلبي، بغداد، ١٩٨٧، ص٨١.
(٢٤) المصدر نفسه، ص٣٧٤.
(٢٥) المصدر نفسه، ص٣٣٦.
(٢٦) المصدر نفسه، ص٢٦٧.
(٢٧) Thompson, C. and Huchinson, R., Century Of The Exploration at Nineveh, London, ١٩٢٩, P.٥٧-٦٦.
(٢٨) Op.Cit, P.٦٥.
(٢٩) Op.Cit, P.٦٦.
(٣٠) رياض نجيب الريس، جواسيس العرب، صراع المخابرات الأجنبية، لندن، (بدون تاريخ)، ص٥٢.
(٣١) غيرترود بيل، فصول من تاريخ العراق القريب، ترجمة: جعفر الخياط، بغداد (بدون تاريخ)، ص٣٢١-٣٢٢
(٣٢) هذه المعلومة جاءت نتيجة الإشارات الواردة في كتابه المشار إليه الهامش (٢٧) وكذلك في مذكرات ملوان. أما عن قانون الآثار لسنة ١٩٢٤، ينظر للباحث، قوانين الآثار العربية بين التشريع والتطبيق، دراسة تقويمية، الحماية القانونية للآثار، بيت الحكمة، بغداد، ٢٠٠١، ص١١.
(٣٣) وردت الإشارة إليها في مُكاتبة بين المتحف البريطاني والحكومة العراقية.
(٣٤) عن المراسلات المشار إليها في الهامش السابق.
(٣٥) Thompson, C. and Huchinson, R. P.٦٣.
(٣٦) عامر سليمان، نتائج حفريات جامعة الموصل في أسوار نينوى، مجلة آداب الرافدين، العدد الأول (١٩٧١)، ص٤٥- ٨٢.
(٣٧) Stroncach, D., Notes On The Fall Of Nineveh, Assyria ١٩٩٥, Helsinki, ١٩٩٧, P.٣٠٧.